غرائب المعاني والتشبيهات في الشعر العربي

د. عبدالله محمد أحمد عبد الرحمن[1]

مستخلص

يضم هذا البحث مختارات من نظم الشعراء، راعى فيها الباحث في الاختيار: رقَّة اللفظ، وإصابة الوصف، ولطف المعاني، وغرائبها في مستجاد الكلام مما استحسنه النقاد، ورزق السيرورة بين الناس، من لطيف الإشارات، وبديع الصور، والتشبيهات التي غاص فيها الشعراء على المعاني البعيدة الغور مستعينين بجودة القريحة. واستصحب الباحث لكلِّ معنىً ما يشاكله، مع الموازنة، والمقاربة بين الأشعار.

Abstract

Elegant Extracts in Arabic Poetry

The author of this article endeavors to study selected extracts in Arabic Poetry to show many of their characteristics by clarifying literary styles and expose the creativity and ingenuity in them and demonstrate that these elements made those poems distinguished enough to become popular and reap praise from critics.

غرائب المعاني والتشبيهات في الشعر العربي

يتنافس الشعراء في ابتداع المعاني الدقيقة؛ التشبيه المستطرف، وتوليد الاستعارة الغريبة؛ يقول الجرجاني:" ويقع في الشعر المثل السائر والاستعارة الغريبة، والتشبيه النادر وحُسن التمثيل والمعنى المبتدع، وكل شاعر يُريد أن يتيه بوشي صناعة غريبة،

---

[1] أستاذ مشارك ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم

وهذا مما يصل إليه الشاعر بالنظرِ والتدبُّر، وَيَنَالُه بالطلبِ والاجتهاد، فالمعاني من دُونها حجابٌ يحتاج إلى خَرْقِه بالنظر، وعليه كِمٌّ يفتقر إلى شَقِّه بالتفكير، ودُرٌّ في قَعر بحر لا بدّ من تكلُّف الغَوَص عليه، وممتنعٌ في شاهقٍ لا ينالُه إلاّ بتجشّم الصعود إليه وكامناً كالنار في الزَّند، لا يظهر حتى تقتدحه، ومُشابكاً لغيره كعُرُوق الذهب التي لا تُبدِي صَفْحتها بالهُوَيْنَا، بل تُنال بالحَفْرِ عنها وتعرِيقِ الجبين (1). والحسن منه ما وقع من المتكلِّم من غير قصدٍ إلى اجتلابه، أو حالفه التوفيق مع القصد إليه، والطلب له؛ قال جرير:

وَإِنّي لَقَوّالٌ لِكُلِّ غَريبَةٍ وَرودٍ إذا الساري بِلَيلٍ تَرَنَّما
خَروجٍ بِأَفواهِ الرَّواةِ كَأَنَّها قَرا هُندُوانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّما (2)

ومن أحسن ما قيل في الشوق إلى المحبوب قول الأعرابي:

وما وجدُ أعرابيَّةٍ قذفتْ بها صروفُ النوَى من حيثُ لم تكُ ظنَّتِ
تمنَّت أحاليبَ الرعاةِ وخيمةً بنجدٍ فلمْ يُقدَرْ لها تمنَّتِ
إذا ذكرت نجداً وطيبَ تُرابِه وبردَ حصاه آخر الليل أنَّتِ
بأوجدَ من وجدٍ بريَّا وجدته غداةَ ارتحلنا غدوةً واطمأنَّتِ
وكانت رياحٌ تحملُ الحاجَ بيننا فقد بخلت تلك الرياح وضنَّتِ (3)

وقد تمثَّل بوجد هذه الأعرابيه ليصوِّر شوقه لريَّا، وإنما ضرب المثل بالمرأة هاهنا دون الرجل؛ لأنَّ النساء كثيراً ما يتزوجن فيرحلن مع أزواجهنَّ، وبين قوله" وما وجد أعرابية" إلى قوله" بأوجد مني" فصل طويلٌ، ولكنَّه على طوله مستحسنٌ، كأنَّه لما ذكر شوق الأعرابية أحبَّ أن يستطرد في وصف شوقها.

وحبُّ الوطن متأصِّل في نفوس الأعراب لا يرضون بالبادية بدلاً، وقيل لأعرابي من بني أسد: من أين أقبلتَ؟ قال: من هذه البادية، قلتُ: وأين تسكنُ منها؟ قال: مساقطَ الحِمى حِمَى ضَرِيّة (4)، لعمرُ الله ما نُريد بها بدَلاً، ولا نَبغي عنها حِوَلاً، أمّا الفَلَوات، فلا يملؤلح (5) ماؤها، ولا يُحمى ترابُها، ولا يَعمُر جنابُها، ليس فيها أذىً ولا قذىً، ولا أنينٌ، ولا حُمَّى، فنحن بأرفهِ عَيشٍ وأرفعِ نِعمْة! قلت: فما طعامُكم فيها؟ قال: بخٍ بخ! عيشُنا والله عيشٌ تعلَّل جادبُه، وطعامنا أطيب طعامٍ وأهنؤه، الهبيد(6) والضِّباب واليرابيع، والقنافذ،

والحيَّات، وربَّما والله أكلْنا القدّ (7)، واشتوينا الجلْد، فلا نعلمُ أحداً أخصبَ منّا عيشاً؛ فالحمد لله على ما بسط من السَّعة، ورزقَ من الدَّعة". (8)، ومن عجيب أخلاق بني آدم أنَّ حمد النعم عند أرباب الشظف والعناء أكثر منه عند أرباب الغنى، وإنّ ليلةً من نعيم لتحمو دهراً من بؤس قال:

كأنَّ الفتى لم يعرَ يوما إذا اكتسى ولم يكُ صعلوكاً إذا ما تموَّلا

ولم يكُ في بؤسٍ إذا باتَ ليلةً يُناغى غزالاً فاتر الطرف أكحلا (9)

وفي قوله يناغي غزالاً استعارة تصريحية؛ إذ شبه المحبوبة في الجمال . بالغزال.

ومثله لبعض بنى فقعس:

وقال بعضُ أعراب نجد في ابنة عمٍّ له تزوَّجت وارتحل بها زوجُها إلى الحضر:

تبدَّلتِ يا حمراءُ أحمرَ ناجراً وبعدَ الفيافي بالقُرى والحواضِرِ

وشُرباً بأعناق الجرار وربَّما شربتِ بغيثٍ آخرَ الليلِ ماطرِ

ولِعباً بأولادِ الدَّجاج وربَّما لعبتِ بأولادِ الظباء النوافرِ (10)

أتى الشاعر بالفيافي، ثمَّ قابلها بالقرى والحواضر، وأتى بالشرب من أعناق الجرار، وقابله بالشرب من الحوض؛ فإنّ الأعرابيَّ يجيء الحوضَ فيه الماء؛ فيجثو فيكرع منه، ثمَ أتى بأولاد الدجاج، وهنَّ أحلاس البيوت، وقابلها بصورة الأطلاء، وهنَّ وحشيَّاتٌ نوافر، فهو يعيب عليها استبدالها الحضر بالبادية.

ومن التشبيهات النادرة قولُ أبي علي الحسين النشَّار:

وبينَ الخدِّ والشَّفتين خالٌ كزَنجيٍّ أتَى روضاً صباحا

تحيَّرَ في الرياض فليسَ يَدري أيَجني الوردَ أم يجني الأَقاحا (11)

والأقاح زهرٌ تُشبَّه به الثغور، وقد نظر في تشبيه الخال بالزنجيِّ من طرفٍ خفيٍّ إلى كلام الجاحظ في الحوار بين الغلامين الأسود والأبيض؛ حينَ افتخر الأسود على الأبيض بقوله: "لو أنَّ درهماً من سوادي في خدِّك لزانَه، ولو أنَّ درهماً من بياضِك في خدِّي لشانَه".(12)

وإذا قريء البيت الأول مفرداً؛ فليس فيه شيءٌ من حُسن التشبيه؛ فليس منظر الزنجيِّ في الروضة مما يشتمل على الحسن كوجود غادة حسناء فيها، وإنما اكتمل

حسنُ التَّشبيه في البيت الثاني حيث استعار الشاعر الورد للخد، والأقاح للشفتين، وجعل الخال يَحار إلى أيهما ينتسب إلى الخدِّ لحمرة الورد التي فيه، أم إلى بياض الثغر الشبيه بزهر الأقاح.

ومن المعاني المبتدعة قول العبَّاس بن الأحنف في وصف هجرِ محبوبتِه له:

فَما أَخو سَفَرٍ في البيد مُرتَهَنٍ (13) قَد كانَ في رُفَقٍ شَتّى لِأَمصارِ

أَخطا الطَريقَ وَأَفنى الزادَ وَانْقَطَعَت عَنهُ المَناهِلُ في تَيهاءَ (14)مِقفارِ

يَدعو بِصَوتٍ شَجِيٍّ لا أَنيسَ لَهُ قَد غابَ عَنهُ أَنيسُ الأَهلِ وَالجارِ لَو جُرِّعَ الماءَ لَاِستَطفَاهُ مَوقِعُهُ مِنَ الحَشى مِن لَظىً فيهِ وَتَسعارِ حَتّى أَتى الماءَ بَعدَ اليَأسِ تُحرِزُهُ (15) رَبداءُ (16) مَكسُوَّةٌ أَطواقَ أَحجارِ

لَمّا تَبَيَّنَ أَن لا دَلوَ حاضِرَةٌ وَلا رِشاءٌ (17) وَلا عَهدٌ لِآثارِ

دَلّى عِمامَتَهُ حَتّى إِذا انْقَشَعَت غَمامَةُ الماءِ عَن عَذبٍ وَمَوّارِ (18)

أَهوى يُقَلِّبُها في الماءِ مُغتَبِطاً يَكُرُّها فيهِ طَوراً بَعدَ أَطوارِ

حَتّى إِذا هُوَ رَوّاها وَأَخرَجَها وَقالَ قَد نِلتُ يُسراً بَعدَ إِعسارِ

وجرَّها صوَّبت في الماءِ راجعةً واستقبلت نفسُه الدنيا بإكشارِ

يوماً بأجْهدَ منِّي يوم تمنعُني بغيرِ جُرم لباناتي وأوطاري(19)

يُشبِّهُ حالَ العاشق الذي ضاع أملُه بالمسافر الذي طال به المسير في الصحراء، وضلَّ طريقَه، وفقد متاعَه، واشتد به العطش، فصادف بئراً، وليس معه دلوٌ ولا حبل، فحلّ عِمامته عن رأسه وأدلاها في البئر، حتى تتروَّى من الماء ليمصرها في فيه على ما جرت به عادة العرب، ولكنها أفلتت منه وسقطت في البئر، فلم يروِ عطشه، وفقد عمامته التي تقيه حر الصحراء، وبالرغم من الفصل الطويل بين قوله وما أخو سفر"، وبين قوله "يوماً" _ فإنه غير معيب.

قال علقمة الفحل:

وقد علوت قتودَ الرحلِ يسفعني يومٌ تجيئُ به الجوزاء مسمومُ

حامٍ كأنَّ أوارَ النارِ شاملُه دون الثيابِ ورأس المرء معمومُ (20)

وفيه تحقيق للتشبيه في الإيغال في وصف الحر.

وفي أبيات العبَّاس بن الأحنف تشبيه المرأة بالماء، كما قال إبراهيم الأحدب:

مهاةٌ منْ عزيزِ الماءِ صِيغَتْ وكلُّ الخَلقِ مِن ماءٍ مَهينِ

فجعلها من ماءٍ مَعين لا ماءٍ مَهين . غفرَ الله له . وكلُّ الخلق من ماءٍ مهين، "ألم نخْلُقْكم من ماءٍ مَهين"، وفي البيت كناية عن طيب الأصل.

ويقول العباس بن الأحنف أيضاً في استعذابه ماء أرض الحبيبة دون سائر المياه:

جرَى السيلُ فاستبكانيَ السيلُ إذْ جرَى وفاضتْ له مِن مُقلتيَّ سُروبُ

وما ذاك إلا حينَ أيقنتُ أنَّه يَمرُّ بوادٍ أنتِ منهُ قريبُ

يكونُ أُجاجاً دونَكم فإذا انتهى إليكُمْ تلقَّى طيبَكم فيطيبُ (21)

وفيه حسن تعليل لجعله علة طيب الماء مرُّه بأرض الحبيبة، كأنه كان كدراً؛ فلما دنا من الطيب طاب وصفا.

ولا شك أنَّ أبا الطيب نظرَ إلى هذا المعنى في قوله:

وما شرقي بالماءِ إلا تذكُّرا لماءٍ به أهلُ الحبيب نزولُ (22)

ومن أطرف ما قيل في العشق بالسماع قولُ عزُّ الدين الإربلي:

قالوا عشقتَ وأنتَ أعمى ظبياً كحيلَ الطرفِ ألمى

وحُلاه ما عاينتَها فتقولُ قد شغفتْكَ وَهْما

فأجبتُ أنّي موسويٌّ م العِشقِ إدراكاً وفَهْما

أهوَى بجارحةِ السَّما عِ ولا أرَى ذاتَ المُسَمَّى (23)

ولا عجبَ أن تعشق الأذن، فالإمام الرازي يقول" السمعُ على باب القلب" (24)، فما يقعُ في السَّمع يقع في القلب، وولع الشعراء بعشق موسى عليه السلام لربِّه جلَّ وعلا من السماع شائع عند شعراء الصوفيَّة، كما قال الشيخ عبد الغني النابلسي:

أنا موسى العشق ربِّي أرني بكَ أن أنظُرَ ظَبياً شَرَدا

لاحَ لي جَمرٌ على وجنتِه كلَّما أدْنو إليه بَعُدا

فلعلِّي منهُ ألقى قَبساً أو يرَى قلبي علَى النارِ هُدى(25)

وقال آخر:

وقالوا لقد آنستَ ناراً بخدِّه فقلتُ وإنِّي قد وجدتُ بها هُدى

قال ابن خفاجة الأندلسي في وصف جرأة العاشق على زيارة المحبوبة وإن كانت ممنعة:

لقد جُبتُ دون الحيِّ كلَّ تنوفةٍ يحومُ بها نسرُ السماء على وكْر
وخُضتُ سوادَ الليل يسودُّ فحمُه ودُستُ عرينَ الليث ينظرُ عن جمرِ
فلم أَلْقَ إلا صعدةً فوق لأمـةٍ فقلتُ قضيبٌ قد أطلَّ على النهرِ
فما شمتُ إلا غُرَّةً فوق شُقرةٍ فقلتُ حَبابٌ يستديرُ على خمرٍ
وسرتُ وقلتُ البرقُ يخفقُ غيرةً هناك وعينُ النجمِ تنظرُ عن شزرِ(26)

فهذا العاشق المستهتَر لا يُبالي إذا وطيء عرينَ الليث، أو خاض سوادَ اللَّيل، فلما لقي فارساً من أهلَ المحبوبة دون منزلها يحمل رُمحاً، ويلبس خوذةً كذَّب عينيه، وقال هو قضيبٌ من الشجر أطلَّ على النهر، فشبَّه الرمح بالغصن، والخوذة في بياضِها بماء النهر، ورأى فارساً يركب فرساً أغرَّ محجَّلاً فحسبه حَباباً على كأس من الخمر، وفي البيتين الثالث والرابع تشبيه تمثيلي، وقد غطَّى الهوى على بصرِه فكان كما قال:

ألا قاتلَ الله الهوى كيفَ قادني كما قيدَ مغلولُ اليدينِ أسيرُ (27)

اتخذ الشعراء الحمامة رمزاً للشوق والحنين في أشعارِهم، واشتهرَ بهذا في الجاهلية حُميد بن ثور الهلالي، وقد ابتدع شُعراءُ الأعصر العباسية ابتداعاتٍ حسنة في وصف بكاء الحمائم ؛ يقول "بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي؛ وذلك حين استفزَّت هوامد السرور، وتغنّى في دوحه كلُّ بلبل شحرور:

وتنبَّهت ذاتُ الجناحِ بسُحرةٍ بالـواديينِ فنبَّهت أشواقي
ورقاءُ قد أخذتْ فنونَ الحزنِ عن يعقوبَ والألحانَ عن إسحاق
قامتْ تُطارحُني الغرامَ جهالةً من دونِ صحبي بالحِمى ورِفاقي
أنَّي تُباريني جَوىً وصَبابةً وكآبةً وهَوىً وفَيضَ مآقي
وأنا الذي أُملي الجَوى عن خاطري وهْيَ التي تُملِي من الأوراق (28)

وإنما نبَّهها طيف الحبيب؛ فأزعجها، فبكت أسفاً وحسرةً ؛ فهاجت شوقه، وزعم أنَّها تحكي بكاء نبيِّ الله يعقوب على ابنه يوسف عليهما السلام، ثمَّ ذكر إسحاق، وإنَّما

عنى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ثمَّ زعم أنَّ وجدها هيِّنٌ إذا قيس إلى وجده، وقال الإمام الصرصري في هذا المعنى:

باحت بالسرِّ ولمْ تُبِنِ ورقاءُ تنوحُ على فنَنِ
عَجَباً لبلادة عُجمَتِها تُصبي لُبَّ الفَهِمِ الفطِنِ
تُبدي حُزنَ المشتاقِ وما تَدري ما شاغلَةُ الحزَنِ (29)

فزعم أن حزنَها ادَّعاء، ولا يَصدر عن قلبٍ مكلوم، ثمَّ وصف عُجمتَها بالبلادة، وهي نقيض الذكاء، ولكنَّها كانت تخاطب بني جنسها بمنطق الطير، وقال الإمام الغزالي ينفي البلادة عن الحيوان الأعجم . في حديثه عن العجماوات . :

ولو لم يكُنْ إلا تفاهُمُها إذا تناغت بأصواتٍ لها أعجميَّةِ
لكان لنا فيهِ دليلٌ يدلُّنا على أنَّ ذا لا عن نفوسٍ بليدة

وإذا كان الإنسان يفهم عن الحيوان الأعجم، فحريٌّ به أن يفهمَ عن الإنسان الأعجم؛ قيل: لما دخل أبو تمامٍ بلدة أبرشهر، هوي بها مغنيةً كانت تغنى بالفارسية ، وكانت حاذقةً طيبة الصوت ، وفيها يقول أبو تمام:

أَيَا سَهَرِي ببلدة أَبْرَشَهْرٍ ذَمَمْتَ إليَّ نوْمي في سِوَاهَا
شَكَرْتكِ لَيْلةً حسنَتْ وَطَابَتْ أَقَامَ سُرُورُهَا ومَضَى كَرَاهَا
إذَا وَهَدَاتُ(30) أَرْضٍ كانَ فِيهَا رِضَاكِ فَلاَ تَحِنَّ إلَى رُباهَا
سَمِعْتُ بهَا غِنَاءً كانَ أَحْرَى بِأَنْ يَقْتَادَ نَفْسِي مِنْ غِنَاهَا
ومُسْمِعَةٍ تَفُوتُ السَّمْعَ حُسناً وَلَمْ تُصْمِمْهُ لاَ يُصَمْم صَداهَا (31)
مَرَتْ(32) أَوْتَارَهَا فَشَجَتْ وَشَاقَتْ فَلَوْ يَسْطيعُ سَامِعُهَا فَدَاهَا
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانيهَا وَلكِنْ وَرَت كَبِدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا
فَبِتُّ كأَنَّنِي أَعْمَى مُعَنًّى يُحِبُّ الغَانِيَاتِ وَمَا يرَاهَا (33)

وقال آخر في مُغنٍّ فارسي:

وما أفهم ما يعني مغنِّينا إذا غنَّى
سوى أنِّيَ من حُبِّي له أستحسنُ المعنى (34)

فالسمع على باب القلب على ما قالَه الإمام الرازي، وما يطرقه يطرقِ القلب.

وعاتب أبو العلاء المعرّي الحمائمَ على لُبسِها البياض، وتقلُّدها الأطواق، على ما زعمَه من الحُزن على الهديل وهو جدُّ الحمام، هلك في الزمان الأوَّل:

أبناتِ الهديلِ أسعدنَ أو عِدنَ قليلَ العزاء بالإسعادِ

إيه لله درُّكنَّ فأنتنَّ اللواتي تُحسِنَّ حِفظَ الودادِ

ما نَسيتنَّ هالكاً في الأوانِ الخال أودَى من قبلِ هُلكِ إيادِ

بيدَ أنِّي لا أرتضي ما فعلتُنَّ وأطواقُكُنَّ في الأجيادِ

فتسلَّبْنَ واستعِرنَ جميعاً من قَميصِ الدُّجى ثيابَ حدادِ(35)

" شنشنةٌ من أخزم ونشنشةٌ من أخشن"(36)، لا يدعُ المعري اكتئابَه ولا حُزنَه قد أبى إلا أن يجعل شدو الحمام حزناً، فالحمامة عنده ههنا باكيةٌ لا شادية، وهو ينعى عليها ادّعاءها الحزن مع لباسها البياض فلا بدَّ لها من ثياب الحداد وهي سود، ولكن ألم يكن المعري يعلمُ أنَّ أهل الأندلس قد اتخذوا الثياب البيض رمزاً للحداد، قال عبد الرحمن بن شاطر السرقسطي:

قد كنتُ لا أدري لأيَّة علَّةٍ صارَ البياضُ لباسَ كلِّ مُصابِ

حتى كساني الدهرُ سَحقَ ملاءةٍ بيضاء من شيبٍ لفقدِ شبابي (37)

ولُبس البياض هي عادة أهل الأندلس في الحزن على موتاهم، استنُّوا ذلك من عهد بني أميَّة قصداً لمُخالفة بني العباس في لُبسهم السواد ، وعلى مذهب أهل الأندلس فلا حجَّة للمعري على الحمامة.

ومن غريب المعاني في الغزل قول أبي العلاء.:

لغيري زكاةٌ من جِمالٍ فإنْ تكُن زكاةَ جَمالٍ فاذكري ابنَ سبيلِ (38)

وما عسى أنْ تكونَ زكاةُ الجمالِ يا شيخَ المعرَّة، وما مقدارها؟ ولا أحسبُه أراد الفاحشة، فما أراد إلا القُرب والتملِّي بحسن المحبوب، فإذا أدام النظر كان عفَّ الضمير فاسق النظر.

ولأبي العلاء ولعٌ بإيراد مسائل الفقه في شعره كقوله يُخاطب الفقيه أبا حامد الإسفرائيني:

اسمعْ أبا حامدٍ فُتيا قُصِدتَ بها من زائرٍ لجميلِ الودِّ مُبتاعِ
أُرضي وأُنصِفُ إلا أنني رُبَما أربيتُ غيرَ مُجيزٍ خرقَ إجماعِ
وذاك أنيَ أُعطي الوسقَ منتحياً من المودَّة مُعطي الُودِّ بالصاع (39)

فزعم أنَّه يُرابي في الودِّ، ولا إثم عليه، وذلك أنَّه يُكافيءُ من أعطاه صاعاً من المودَّة بالوَسق، والوَسقُ ستون صاعاً.

قال ابن الفارض:

يا صاحبي هذا العقيقُ فقفْ به متوالِهاً إنْ كنتَ لستَ بوالِه
وانظرْه عنِّي إنَّ طرفيَ عاقني إرسالُ دمعيَ فيه عن إرسالِه (40)

وفي زعمُه أنَّ البكاء منعه من النظر معنىً بديع، كذلك طلبه من صاحبِه أن ينظره نيابةً عنه؛ لأنَّ الصاحبَ يقوم عنده مقام نفسِه، ولا يصفه له إلا بما يُحبُّ لعلمِه بمكنونِ نفسِه؛ فالعاشق يرى الديار على غير الصورة التي يراها غيرُه من الناس، وقال البحتري:

وَجَدتُ نَفسَكِ مِن نَفسي بِمَنزِلَةٍ هِيَ المُصافاةُ بَينَ الماءِ وَالراحِ

فقد تمازجت أرواح الصفيين.

وذهب كثيِّر أبعد من هذ فقال لصاحبيه لما وقف على ديار مي فقال لصاحبيه:

خليليَّ هذا ربعُ عزَّة فاعقلا قلوصيكما ثمَّ انزلا حيثُ حلَّت
ومُسَّا تراباً طيّباً مسَّ ذيلَها وبيتاً وظلاً حيث باتت وظلَّتِ
وَلا تَيأَسا أَن يَعفوَ اللهُ عَنكُما إِذا أَنتما صَلَّيتُما حَيثُ صَلَّتِ (41)

غفر الله له فقد جعل دارها حرماً ، وجعلها ممن يُتبرَّك بآثاره.

قال ابن سهل الإسرائيلي:

لخدِّه من فؤادي نسبةٌ عجَبٌ كلاهما أبداً يدمَى من النظرِ (42)

يزعم الشاعر أنَّ بينَ خدِّ المحبوبة وفؤادهِ نسبةٌ عجَبٌ، وهي أنَّ فؤاده يدمَى إذا نظر إليها، أمَّا خدُّها فيدمى من نظرته، وذهبَ ابن الفارض مذهباً قريباً من هذا حيثُ يقول:

غرستُ باللحظ ورداً فوق وجنتِه حقٌّ لطرفيَ أن يجني الذي غرسا

أراد نظره الموجب احمرار وجنة المحبوب، فإنَّه إذا نظرة إلى وجنة المحبوب احمرَّت تلك الوجنة من الاستحياء، وظهر ما يُشبه الوردَ الأحمر على تلك الوجنة، وانتشرت رائحة ذلك الورد، ومن غرس الورد فهو أحقُّ بقطفه.

ونظر أبو الفضل الوليد إلى هذا المعنى؛ فقال:

غرستُ بلحظي أجملَ الزهَراتِ على خدِّكِ المسقيِّ من عَبَراتي

فلا تَحرميني شمَّةَ الزهرةِ التي لإنضارِها أذبلتُ زهرَ حياتي (43)

وقد صرَّح بالمعنى الذي رمز إليه ابن الفارض، وهو انتشار عبير الورد.

ومن الصور الرمزية الطريفة للشيخ ابن العربي . رضي الله عنه . :

وزاحمني عندَ استلامي أوانسٌ أتينَ إلى التطواف مؤتجراتِ

سفرن عن أنوار الشموس وقلنَ لي تورَّعْ فموتُ النفسِ في اللحظاتِ

فكم قد قتلنا بالمُحصَّب من منىً نفوساً أبيَّاتٍ لدى الجمرات

وفي سرحةِ الوادي وأكنافِ رامةٍ وجمعٍ وعندَ النَّفر من عرفاتِ

ألم تدْرِ أنَّ الحُسنَ يسلُبُ من له عفافٌ فيُدعى سالبَ الحسناتِ

فموعدُنا بعد الطوافِ بزمزمٍ لدى القبَّة الوسطى من الصخراتِ (44)

وهذا ضرب من الرمزيَّة عند شُعراء المتصوِّفة، وبزمزم في مذهبهم تلتقي أرواحُ المؤمنين، ومن طريف المعاني ما ذهب إليه رجلٌ طافَ بالبيتِ فرأى امرأةً تطوف بالبيت كأنَّها ظبيٌ، فترك الطوافَ وجعلَ ينظرُ إليها، ثمَّ ذكر قولَه تعالى " يا أيُّها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرُم"، ثمَّ نظم هذا شعراً، فقال:

قلتُ لها في الطوافِ معترضاً لا تستحلِّي بالله سفكَ دمي

فكانَ من قولِها وقد جعلت تَسترُ ذاك الشقيقِ بالعَنَمِ

نحنُ ظباءٌ ولا يحلُّ لكم في الدِّين صيدُ الظباء في الحَرَمِ (45)

وكانَ ضعافُ النفوس يهتبلون فرصة الازدحام، ليتقرَّبوا من النساء ويُغازلوهنَّ، وقد حذر المولى عزَّ وجلَّ من الإثم في مكَّة . زادها الله تعالى شرفاً؛ فقال : " ومن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلمٍ نذقْه من عذابٍ أليم". وساق أبو حيان التوحيدي هذا الحديث؛ فقال:" قال ابن الأعرابي: كان عمر بن الخطاب يطوف بالبيت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إن عليَّاً لطمني، فوقف عمر إلى أن وافى عليٌّ . رضي الله تعالى عنهما، فقال له عمر: يا أبا الحسن، ألطمتَ هذا؟، قال: نعم، قال: ولِمَ؟، قال: لأنني رأيته ينظر إلى حُرَم المسلمين في الطواف؛ فقال: أحسنت، ثم أقبل على الملطوم؛ فقال: اذهبْ، فقد وقعت عليك عين من عيون الله."(46)

قال أبو العلاء :

حملتِ من الشامين أطيبَ جرعةٍ وأنزرَها والقومُ بالقفر ضُلَّلُ

يلوذُ بأقطارِ الزجاجةِ بعدما أُريقت لما أهديتِ في الكُثرِ أمثالُ

فإنْ زعموا أنَّ الهجيرَ استشفَّهم إليها فمنها في المزايدِ أسمالُ (47)

فزعم أنَّها زارته في المنام ثمَّ قبَّلته على عجل، فنال من رُضابها شيئاً يسيراً، إذا أنتَ قارنتَه بما يتبقَّى في جوانب الزجاجة بعد إراقة ما فيها من الخمر. لم يُعدَّ شيئاً، ثم قال إنَّ حُجَّة الرَّكب إذ طلبوا تلك القبلة، وذاك الريق لشدَّة عطشهم حُجَّة داحضة؛ لأنَّ مزايدهم ما زالَ فيها بقيَّة من ماء، والزعم مطية الكذب.

وقال ابن الرومي:

قد أرتنا وأسمعتنا ولكن تركت كلَّ عاشقٍ حيرانا

أفلا قائلٌ لها ذو احتسابٍ حين تَحمي رضابها الظمآنا (48)

قال أبو الطيِّب:

قامت إلى ناظري تقبِّلني وإنَّما قبَّلت به فاها

يدَّعي أنَّ محبوتَه قامت فقبَّلت عينيه، ولكنَّها لم تَرُم في الحقيقة تقبيلَ عينيه، وإنَّما رأت صورتها في عينيه، فقامت تُقبِّل صورتَها لِحبِّها لذاتها، ولكن ألم يتغزَّل في عينيه؟ فما أحسنَ صفاء عينيه ، وأشدَّ اتساعهما حتى ترى وجهها فيهما! ، والعرب تُشبِّه العين في صفائها بالمرآة ؛ قال المؤرِّج السدوسي:

كأنَّ عينيـه حمامتانِ (49)

أي مرآتان، وقال طرفة:

وعينان كالماويتين استكنَّتا (50)

والماويَّة المرآة، شُبِّهت بالماء لصفائها، كما سمِّيت المرأة ماويَّة لصفاء لونِها إذ أشبه لونَ الماء.

وقال أبو الطيب أيضاً:

تقولينَ ما في الناس مثلُك عاشقٌ جِدِي مِثلَ من أحببتُه تجدي مثلي

محبٌّ كَنَى بالبيضِ عن مرهفاته وبالحُسنِ في أجسامِهنَّ عن الصقلِ(51)

فأبو الطيِّب يبتدع جدلاً بينَه وبينَ امرأة تلومُه على عِشقه للسيف وإعراضِه عنها، وهو يردُّ قولها زاعماً أنَّه متى وُجِد الحُسن في أي صورة وُجد العاشق، ووزعم أنَّه إنَّما يتغزَّل بالسيوف، فإذا ذكَر البيض فإنَّه لا يعني النساء وإنَّما يعني السيوف، وإذا ذكر الحُسنَ فإنَّه يعني الصقل، وذهب إلى قريب من هذا في قولِه:

وكانَ أحسنَ من سيفي مُعانقةً أشْباهُ رونَقِه الغِيدُ الأماليدُ(52)

وقد ربط قيس بن الخطيم بين السيف وبطن المرأة، فقال :

كأنَّ بطونهنَّ سيوفُ هندٍ إذا ما هُنَّ زايلنَ الغمودا(53)

وتبع أبو العلاء قريَّ شيخِه أبي الطيب، لكنَّه استبدل بالسيف الدِّرع، فقال على لسان امرأة توصي ولدها بصيانة الدرع التي خلفها له والدُه، والإعراض عن التزوُّج:

عليك السابغاتِ فإنهنَّه يُدافعنَ الصوارمَ والأسنّه

ومن شهد الوغى وعليه درعٌ تلقّاها بنفسٍ مُطمئنّه

ولمْ يَتركْ أبوك سوى قناةٍ ودرعٍ آزرٍ فرساً وجُنَّه

فحِنَّ إلى المكارم والمعالي ولا تُثقل مَطاكَ بعبءِ حَنه (54)

والمطا الظهر والحَنَّة المرأة، وما زال هذا اللفظ للمرأة مُستخدماً في بعض بلاد المغرب العربي في مخاطبة المرأة ".

وكان أبو العلاء كثيرَ التتبّع لمعاني المتنبي، ولكنَّه كان رجلاً يكرهُ الحرب، ولا علم له بها، فاختار الدِّرع بدلاً عن السيف ، والدرع رمز للصيانة من الدنيا وأهليها، وقد وصف نفسه ؛ فقال :" إنسيُّ الولادة وحشيُّ الغريزة " (55)، وعندي أنَّ سيفياتِ أبي الطيب هي درعيَّاتُ أبي العلاء المعرّي.

ومما استحسنه الرواة قولُ أبي صخر الهذلي:

تكادُ يدي تَندَى إذا ما لَمَستُها وينبتُ في أطرافِها الوَرَقُ الخُضرُ (56)

أَرأَى في كفِّها ماء الحياة الذي ما مسَّ شيئاً إلا أحياه؟ كما أحيا الماءُ حوتَ موسى. على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام. في مجمع البحرين! ولكنهم عابوا عليه أنه مدحها بما يُمدحُ به سادة الرجال، وقال آخر في ذات المعنى، لكنَّه قصَّر عنه:

أرى ريقَها ماءَ الحياة تيقُّناً على أنّها لم تُبقِ لي في الهوَى حشا (57)

زعم أنه نال من ريقها بعد أن أصابه من أصابه من حبِّها إذ ذاب منه الحشا؛ فلم ينفعه رضابها، وكُنتُ وددتُ لو أنه جعل ريقها يردُّ عليه الموتَ من حشاه، وهي عثرةٌ من الشاعر.

و قد نظر الشاعر إلى قصَّة السامريِّ الذي قبض قبضة من أثر فرس جبريل . على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام . وكانت لا تُصيب شيئاً إلا حييَ، وقال ابن حزم الأندلسي في هذا المعنى:

خذوا من تُرابٍ فيه موضعُ وطئه وأضمنُ أن المحلَ عنك سيبعدُ

كذلك فعل السامريِّ وقد بدا لعينيه من جبريلَ إثْرٌ ممُجَّدُ (58)

ونظر أبو الطيِّب إلى هذا المعنى ، فقال:

وعجبتُ من أرضٍ سحابُ أَكفِّهم من فوقها وصخورُها لا تورقُ (59)

أمّا سبط بنُ التعاويذي فقد نظر إلى المعنى، ولكنَّه عكسه بالهجاء، فقال:

له يدٌ لو صافحتْ أراكةً لم تورقِ (60)

وإنمَّا خصَّ الأراك لأنَّه شجرٌ ثابتٌ أصيلٌ في مكانِه، وليس بجميع الشجر تمكُّنه وثباتُه.

وفي اللسان:" وهو أفضل ما استيك بفروعه ، و رعته الماشية رائحة لبن" (61) ، وهو شجر مبارك، ومن المعاني المبتدعة ما قال أبو العلاء يصف العيس ، وهي تقع البيد في الظلام:

بعِيسٍ مثل أطراف المداري تشقُّ من الدُّجى لِمماً جِعادا (62)

وما أعجب تشبيهَه ظلام الليل بشَعر المرأة . وهو تشبيه مقلوب ؛ ليقوي ادعاء أن شعرها أكثر سواداً من الليل . والسائرُ عندَ الشُّعراء تشبيه شَعر المرأة بالليل، كما قال ابن الفارض:

وإنْ ضللتُ بليلٍ من ذوائبِه أهدى لعيني الهدى صبحٌ من البلج (63)

والصبح فاعلٌ، والهُدى مفعول ثانٍ لـ (أهدى) ، يقول: وإن ضللتُ بسواد هذه الذوئب السود فإنَّ بلج الوجه يَهديني، والبلج بياضٌ في الجبهة بين الحاجبين.

وقال يزيد بن الطثرية وقد أمر السلطان بحلق شعره ، وكان ذا جُمةٍ حسنة :

ويهلِك مِدرى العاج في مُدلهمّةٍ إذا لَم تُفرَّجْ ماتَ غمَّاً صؤابُها (64)

والصؤابُ صغارُ القمل ، يفتخر بجُعودة شعره وكثرته، وليسَ ثمَّ صؤاب، وإلا كانَ هاجياً نفسَه بأنَّه تفلٌ مُقمل، والمِدرى شيء يُعمل من خشب أو حديد أو فضة أو عاج على صورة المشطّ ، أو سنٍّ من أسنان المشط تُصلح به الماشطة قرون النساء.

ومن أعجب ما قيل في وصف الخمر وآنيتها قول أبي نواس:

تُدارُ علينا الراح في عسجديَّةٍ حبتْها بأنواع التصاويرِ فارسُ

قرارتَها كسرى وفي جنباتها مهاً تدَّريها بالقسيِّ الفوارسُ

فللخمرِ ما زُرَّتْ عليه جيوبُها وللماءِ ما دارت عليه القلانسُ (65)

قولُه قرارتَها بالفتح نصبَه على الظرف، يُريد أنَّه كان في قرارةِ الكأس صورةُ كسرى، وفي جنباتها وهي نواحيها صورة المها، وهي بقرُ الوحش، وصورُ فُرسانٍ بأيديهم النُّشَّاب يرمونَ تلك المها، والدريئة الشيء الذي يُرمى، يعني أنَّه صبَّ الخمرَ في الكأس، إلى أن بلغت صورة حلوق الفرسان، وهو موضع الأزرار، ثمَّ صبَّ الماء مقدارَ صور الرؤوس، وهو الذي تحتازه القلانس" (66)

قال الجاحظ عند ذكر هذه الأبيات: " فأنشدتُها أبا شُعيب القلال ؛ فقال يا أبا عثمان ، لو نُقِرَ هذا الشعرُ لطنَّ! قلتُ: ويلك! ما تُفارقُ الجِرارةَ والخزَفةَ حيثُ كنتَ!" (67)

وأكثر علماء الشعر في ذكر هذا المعني النواسيّ، وقولهم فيه أنَّه معنىً مُبتدع ، وانتقد الجاحظ كثرة ثناء العلماء على هذا المعنى، وقال:"... بدون هذا يُباعُ الحِمار (68)، وفصاحةُ هذا الشعر عندي هي الموصوفةُ، لا هذاذ المعنى؛ فإنّه لا كبيرُ كُلفةٍ فيه؛ لأنَّ أبا نواس رأى كأساً من الذهب ذات تصاوير، فحكاها في شعرِه" (69)، ولعمري فقد ظلمه الجاحظ. وقال الصفدي: "هذه أبياتٌ سار لها ذكرٌ، وصارَ لها شكرٌ بينَ الأدباء، وأولِعوا بها وبمعاني أبياتِها" (70)، وقد بسط الصفدي الكلام في هذه الأبيات في كتابه" نصرة السائر"، وأورد لها نظائر كثيرة، نذكر بعضها: . وهذا المعنى متواترٌ عندَ أبي نواس . كقولِه:

بنينا على كِسرى سَماء مُدامةٍ مكلَّلةً حافَاتُها بنجـوم

فلو رُدَّ في كسرى بن ساسانَ روحُه إذن لاصطفانا دونَ كلِّ نديمِ (71)

وما كان له أن يتمنى مثل هذه المنزلة ؛ فنديم الملك في خطرٍ عظيم ، فانظر ماذا جرَّت منادمة النعمان بن المنذر على طرفة بن العبد من سوء المصير ، وكتاب " التاج في أخلاق الملوك " للجاحظ حافل بسوء عاقبة ندامى الملوك.

ووجود كسرى في قرارة الكأس، مناسبٌ لما يسبق إلى وَهْمِ شاربِها أنَّه ملك، كما قال:

إذا ما نديمي علَّني ثمَّ علَّني ثلاثَ زُجاجاتٍ لهنَّ هدير

خرجتُ أجرُّ الثوبَ حتَّى كأنَّني عليكَ أميرَ المؤمنينَ أميرُ (72)

وقال أبو تمَّام بن رباح في هذا المعنى:

وكأسٍ بدا كِسرى بها في قرارةٍ غريقاً ولكن في خليجٍ من الخمرِ
وما صوَّرته فارسٌ عبثاً به ولكنَّهم جاءوا بأخفى من السحر
أشاروا بما دانوا له في حياتِه فنُومي إليه بالسجودِ ولا نَدري (73)

وكانت الفُرسُ تسجدُ لملوكِها، فشبَّه إطراقَهم ونظرهم في الكأس بالسجود، أمَّا وهم مسلمون فهل لهم عذرُ الجهالة!

وما أحسن ما قاله الشهاب محمود الحلبي فيما يعانيه الحجيج ويتلذَّذون به في رحلتهم لزيارة النبيّ . صلى الله عليه وسلَّم . بعد أدائهم مناسك الحج:

ولولاه ما طاب السُّرى نحو طيبةٍ ولذّ الكرى فوقَ الذُّرى والحَوارِكِ (74)
ولا هجروا أوطانَهم وتوسَّدوا وسائدَ أيدي عيسِهم في المَبارِكِ
ولا قُلِّدت أجيادُ كلِّ تنوفةٍ (75) فرائدَ سلكِ الأدمِ المُتهالك (76)

يصف رحلة هؤلاء الحجيج المشوقين إلى الحضرة الشريفة ، وما يلقونه من المشقَّة ؛ فلا يُبالون بها؛ إذ صاروا أرواحاً بلا أشباح، فلم يشقَّ عليهم النومُ فوقَ الظهور الصِّعاب، وإذا رقدوا على الأرض كانت وسائدُهم أيدي الإبل، وما أخشنَها من وسائد، وذكر بكاءهم شوقاً إليه صلى الله عليه وسلَّم، وشبَّه أدمعَهم بالدرِّ، وشبَّه التنوفة بالجيد، وهذا غريب مستعذب، وكيف قلَّدوا هذا الجيد بالدر وهي الأدمع.

ومن أعجب ما قيل في وصف الشيب قول الشاعر السوداني محمد أحمد محجوب:

شاهقاتُ الجبالِ في الأُفقِ سَكْرَى ذاهباتٍ مع الشعاع شعاعا
ليتَ شيبي كشيبها موسميٌّ يكشفُ الصيفُ عن صباه القناعا (77)

ولعمري فقد أحسن، وما أراه إلا ناظراً إلى شوقي في سينيّته:

اختلاف النهار والليل يُنسي

قال في وصف جبال غرناطة:

جلَّل الشيبُ دونَها رأس شيرى فبدا منه في عصائبِ بُرس(78)
سرمدٌ شيبُه ولم أرَ شيباً قبلهَ يرجيءُ البقاءَ ويُنسي

وقوله " يُنسي" من الإنساء ، وهو الإرجاء، أسقط الهمز ، وقريء " إنَّما النّسيُّ" و" النسيءُ"، وقد اختلف المحجوب مع شوقي في أنَّه وصف جبالاً ينقشع عنها الجليد في الصيف ، أمَّا شوقي فقد جعل شيبَها سرمديَّاً ، وهو شيبٌ لا يمنع طولَ

البقاء، وإن كان الشيب نذيرَ الهرم والموت ، كما قال الإمام شرف الدين البوصيري:

فإنَّ أمَّارَتِي بالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ مِنْ جَهْلِهَا بنذيرِ الشِّيْبِ وَالهَرَمِ

ولا أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى ضَيفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غيرَ مُحْتَشِمِ (79)

والاحتشام الحياء؛ فالشيب أبيض فاضح، وإن كان الناس يحتالون له بشتى الحيل.

وقال أبو بكر بن مُحمَّد السبتي في وصف غرناطة:

رعى الله من غرناطةٍ متبوّأً يسرُّ حزيناً أو يُجيرُ طريدا

تبرَّم منه صاحبي عندما رأى مسارحَها بالثلج صرنَ جليدا

هي الثغرُ صانَ الله من أهلَّت به وما خيرُ ثغرٍ لا يكونُ برودا(80)

ومن غريب ما قيل في وصف النسيم قول الشاعر :

أظنُّ نسيمَ الروض ماتَ لأنَّه قضى زمناً في الروض وهو عليلُ

وفيه ضربٌ من الفكاهة على ما فيها حسن التعليل، ولا أحسبه إلا يصف يوماً شديد الحر، قد ركد فيه النسيم، وفي قوله (عليل) تورية مُستجادة؛ إذ يريد بها نسيمٌ رقيق ليِّنُ الهبوبِ، مُنعشٌ لطيف، وهو المعنى البعيد، والمعنى الذي يتبادر إلى الذهن هو المريض، وهو المعنى القريب .

وقال ابن عنِّين:

بلادٌ بها الحصباء دُرٌ وتربها عبيرٌ وأنفاس الشَّمالِ شَمولُ

تسلسل فيها ماؤها وهو مُطلقٌ وصحَّ نسيمُ الروضِ وهو عليلُ (81)

وقد جمع في هذا البيت الطباق إلى حسن التعليل، إضافة إلى التورية في قوله (عليل)؛ فإن قوله (صح) توحي بالمعنى القريب، وهو (مريض)، إلا أن الشاعر يريد الهواء المنعش اللطيف، وهو المعنى البعيد الذي ورَّى عنه.

وقد جمع ابن الفارض . رحمه الله . في شوقه إلى المحبوب كلَّ صور الجمال في قوله:

تراه إنْ غابَ عنِّي كلُّ جارحةٍ في كلِّ معنىً لطيفٍ رائقٍ بهجِ

في نغمة العودِ والناي الرخيمِ إذا تآلفا بينَ ألحانٍ من الهزج
وفي مسارح غزلانِ الخمائل في برد الأصائل والإصباحِ في البلَج
وفي مساقطِ أنداءِ الغمامِ على بساطِ نورٍ من الأزهارِ مُنتسَج (82)

هذه الأبيات من ألطف النظام وأحسن الكلام؛ لأنَّه أسلوبٌ غريب ونمطٌ عجيب، ومعناه إن غاب عنّي الحبيب صارت جوارحي عيوناً تراهُ، لكنَّها تراه في كلِّ معنىً لطيف؛ في العود والناي لائتلافهما وامتزاج نغماتهما من غير تخالف بينَ صوتيهما، وفي مراعي الغزلان في البَردَين الأصيل والبلج وهو أوَّل الصبح، وفي مَساقط أنداء الغمام على بُسُط الزهر، وأجمل ما تكون الخضرةُ في ظل الغمام، وفي رقَّة النسائم في الأسحار، وهو وقت نزول الرحمةِ واستنشاق روحِها، ووجدان نسيمِها.

واستحسن النقاد قولَ عُبيدِ الله بن عبد الله بن عُتبةَ بن مسعود:

شققتِ القلب ثمَّ ذررتِ فيه هواك فليم والتام الفطورُ
تغلغلَ حيث لم يبلُغْ شرابٌ ولا حُزنٌ ولمْ يبلُغْ سرورُ

قولُه "ليم" أي التأم، و"الذَّرور" نوعٌ من الطيب يُجمع من أخلاط، قال المرزوقي:" يصفُ استحكامَ الهوى وشدَّةَ تسلُّطِه على قلبِه، وتمكُّنَه من عَقلِه، فيقول: شققتِ قلبي، وجعلتِ هواكِ ذروراً فيه، فرسخ في جوانبِه بعد أن دبَّ في مسامِّه ومواصِلِه، ثم جمعتِ شقوقَه حتى التأمت فتوقُه، فتوصَّل الهوى منه إلى ما أعجز كلَّ سرورٍ وحزن"(83)، وعندي أن قوله" ذررت فيه" إشارة إلى الذريرة، وهي نوع من الطيب مجموع من أخلاط؛ فشبَّه هواها بالطيب، ودونه قول يزيد بن الطبرية:

أتاني هواها قبلَ أن أعرفَ الهوَى فصادفَ قلباً خالياً فتمكَّنا

قال ابن داؤود الأصفهاني:" ولعمري إنَّ هذا لمن نفيس الكلام غير أنَّ في البيت ضعفاً؛ وذلك أنَّه جعل سبب تمكُّن الهوَى من قلبه أنَّه صادفه خالياً لم يسبقه إليه غيره، وليست هذه من أحوال أهل التَّمام ؛ إذ كلُّ من صادف محلاً لا يُدافع عنه لم يتعذّر عليه التمكُّن منه"(84) ، وأحسب أن الأصفهاني جار عليه في الحكم، قال الراغب الأصفهاني " كل هوىً ثبت في الصغر كالنقش في الحجر لا تُغيِّره الأحوال ، ولا تُبدِّله الأعوام" .(85)

ومن المثل السائر قولُ ليلى بنتُ طريف ترثي أخاها:

أيا شجرَ الخابورِ مالك مورقاً كأنك لم تحزنْ على ابن طريف (86)

قال النويري" وأمّا تجاهل العارف عمّا يعلمُه حقيقةً تجاهلاً منه ليُخرجَ كلامَه مخرج المدح والذم، أو ليدلَّ على شدَّة التدلُّه في الحبّ، أو لقصد التعجُّب أو التوبيخ أو التقرير، وقال السكَّاكي:" هو سوقُ المعلوم مساقَ غيره كالتوبيخ في قول ليلى بنت طريف الخارجيَّة:

أيا شجرَ الخابورِ مالك مورقاً كأنك لم تجزعْ على ابن طريف (87)

والخابور نهر بالشام، وخليقٌ بشجره أن يكون نضراً خضراً على الدوام.

قال جعفر الحلي:

لَو أَنَّ بِنت طَريفَ تفقد مثلَه ما عاتبتْ شَجراً عَلى الخابور

مِما أَصابَ فُؤادَها مِن مُحرق يَبقى نَضيرُ الدَوح غَير نَضير

وليس للشاعر مسوِّغٌ في منع اسم" طريف" من الصرف، وهو من أقبح الضرورات .

قال المبرِّد في التعازي والمراثي:" ومن عجيب ما قيل قولُ النابغة في حصن بن حُذيفة إكباراً لشأنِه، واستعظاماً لموتِه ، وتعجُّباً من ذهاب مثلِه:

يقولونَ حصنٌ ثمَّ تأبى نفوسُهم وكيف بحصنٍ والجبال جنوحُ

ولم تلفظ الموتى القبورُ ولمْ تزلْ نجومُ السماءِ والأديمُ صحيحُ (88)

قال البغدادي:" أراد أنَّهم يقولون: مات حِصنٌ ثمَّ يستعظمونَ أنْ ينطقوا بهذا، ويقولونَ كيف يجوز أن يموتَ، والجبال لم تُنسَف، والنجوم لم تنكدر، والقبور لم تُخرج موتاها، وجِرمُ العالم صحيحٌ لمْ يَحدث فيه حادث.

وقد ضربت العرب المثل بالثور في القوة ، ومن المعاني الطريفة قول الشاعر:

ويلُ الورى من عنيفٍ أحمقٍ خرفِ كأنَّه الثَّور في مستودع الخزف

رأى جمالاً وفنَّاً ليس يفهمُه فهالَه ما يَرى من مُبدع الطُّرَفِ

فلمْ يزَلْ مرهفاً قرنيه مندفعاً يجري فيكسرُ ما ألفى من التُّحفِ

كأنَّ في قلبِه حقداً ومَوجدةً لكلِّ شيءٍ بديعِ الصُّنع مؤتلف

وهو نظير المثل الإنجليزي" Like a bull in a china cabinet"، والثور عندهم رمز القوَّة الحيوانية. وكلمة الخزف عند العرب يُعنى بها الشيء الرخيص المبتذل، لكنَّ الشاعر هنا يعني الخزف الصيني، وهو نفيس بديع الصنع، ومن هذا سمِّيت المرأة حنتمة، وما أحسب أن العرب تشبِّهها بالفخار الرخيص. وقد أشار إلى هذا بقولِه "التُّحف"، وكلُّ امرأة من ذوات اليسار تَحرِص أن يكونَ لديها مستودع للخزف الصيني.

قال الزبيدي:

ولمَّا تلاقينا على سفحِ رامةٍ رأيتُ بنانَ العامريَّة أحمرا
فقلتُ خضبتِ الكفَّ بعدَ فراقنا فقالت معاذ الله ذلك ما جرى
ولكنَّني لمَّا رأيتُكَ راحلاً بكيتُ دماً حتى بللتُ به الثرى
مسحتُ بأطراف البنان مدامعي فعاد خضاباً في اليدين كما ترى (89)

وهذه الأبيات ترمي المرأة بالغدر وقلَّة الوفاء، والأدب العربي حافل بالقصص التي تدلُّ على أنَّ النساءَ لا وفاء لهنَّ، وقد زعموا أنَّ رجلاً من العرب لمَّا حضرته الوفاة أوصى زوجَه قائلاً:إذا مِتُّ فلا تتزوَّجي فُلاناً، فعاهدته على هذا، ثمَّ قُبضَ الرجل، فقامت المرأةُ تندبُه مع صويحباتِها، وتلطم وجهها، فأتى ذلك الرجل الذي نهاها عنه زوجه، فوقف على النسوةِ، ثمَّ بعثَ إليها جاريته ؛ فقال لها: قولي لها لا تلطمي وجهك هكذا، فإنَّ بنا إليه حاجة، قيل فما إن أخبرَتْها حتى ارتخت يداها، وما أتمَّت العدة حتى تزوَّجته.

وقد تغنَّى المغنون بهذه الأبيات كثيراً، لرقَّة ألفاظها وغرابة معانيها وطرافتها، وبعض المغنِّين ينشدونها في صدر أغانيهم، كما اهتمَّ الأدباء بتشطيرِها وتخميسِها، شطَّرها من المعاصرين صالح السويسي القيرواني ت 1941م، قال:

ولمَّا تلاقينا على سفح رامةٍ وقلبي من الشوقِ القديمِ تسعَّرا
ورمْتُ بأن أُبدي عظيمَ لواعجي رأيتُ بنانَ العامريَّة أحمرا
فقلتُ خضبتِ الكفَّ بعد فراقِنا فما هكذا شأن المحبِّينَ في الورى

وأوسعتُها بالعُتبِ شأنَ أولي الهوى فقالتْ لَعمرُ اللهِ ذلك ما جَرَى
ولكنَّني لمَّا أَضرَّ بيَ الهَوَى وعيناي بعدَ البُعدِ لم تذُقِ الكَرَى
وقد ذبُلَتْ منِّي محاسنُ زهرتي بكيتُ دماً حتى بللتُ به الثرى

لكنَّه أسقط تشطير البيت الأخير.

وخمَّسها حسين بن حسن بن تركمان ت 1132هـ ، يقول في بعض تخميسه:

فما بالُ محزونِ الحشاشة والجوى ومن فُرقة الأحباب والهمِّ قد حوى
فقال يرى خضباً وقد شفَّه الهوى ولكنَّني لمَّا ألمَّ بيَ الجوى بكيتُ دماً حتى بللتُ به الثّرَى (90)

وليست في جودة الأوّل.

قال أبو العلاء:

جمالَ ذي الأرض كانوا في الحياة وهُمْ بعدَ الممات جمالُ الكُتبِ والسيَرِ

فمدحهم في بيتٍ واحد بجمال السيرة في الحياة وبعدَ الممات، ولهذا البيت شكرٌ بين الأدباء، وقد اقتبسه جماعة منهم في أشعارهم، قال موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد:

واسمع لقول الذي تُتلى محاسنُه من بعد ما صارَ مثل التُّرب كالسُّوَر
جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمال الكتب والسير(91)

قال شرف الدين البوصيري:

كأنَّهم في ظهور الخيل نبتُ رُباً من شِدّة الحزمِ لا مِن شَدَّة الحُزُمِ

ونبتُ الربا مَعروف بالاستواء والاعتدال وحسن المنظر، فهؤلاء فرسانٌ يُعجبكُ منظرهم واعتدال قاماتهم وهم على ظهور الخيل، وليس هذا من شدِّ الحُزم، والتحزُّم هو التلبُّب، وقيل الدخول في السلاح، ولكنَّه من شدَّة حزمهم وقوَّة عزمهم، قال عبد اللطيف الصيرفي مخمِّساً القصيدة:

لَوافِحُ الحَرِّ خالوها نَسيمَ صِبا وَقَعقَعاتِ السِلاحِ المُنتَضي طَرَبا
أَما الثَبّاتُ فَقُل ما شِئتَهُ عَجَبا كَأَنَّهُم في صُدورِ الخَيلِ نَبتٌ رَبا
مِن شِدَّةِ الحَزمِ لا مِن شَدَّةِ الحُزُمِ

قال الشاعر:

هيهات جئتَ إلى دِفلى تُحرِّكُها مُستطْعِماً عنباً حرَّكتَ فالتقطِ

والدفلى شجر مُرُّ الثمر، أخضر، حسن المنظر، ولا يأكل ثمرَه شيءٌ من الحيوان؛ يُصفُه بأنَّه استثارَ عدوّاً لا قِبلَ له به، فحرَّك شجرة الدفلى يظنُّها عِنباً؛ فتساقطت عليه ثمراً مُرّا، وفي أمثال العرب "أعجز من مستطعم العنب من الدفلى". ومثله قول الشاعر:

يا ليتَ عمرواً وليتٌ ضلَّةٌ سفَهٌ لم يغزُ فهماً ولم يحلل بواديها.

قال أبو تمّام:

مسترسلين إلى الحتوف كأنَّما بينَ الحتوفِ وبينهم أرحامُ

سُبق أبو تمّام إلى هذا المعنى، ولكنَّه فاق فيه من سبقه، فوصفُ العلاقة بوشيجة الرحم أدقُّ وصفاً في الصلة بينهم وبينَ الحتوف، وذهب أبو الطيب قريباً من هذا المذهب فقال:

مقيمٌ من الهيجاء في كلِّ منزلٍ كأنَّك من كلِّ الصوارم في أهل

فقصَّر عن أبي تمَّام لفظاً ومعنى. وكأنَّه مستمدٌ من قول أمير المؤمنين علي . كرَّم الله وجهه . قال "فإنْ أقلْ يقولوا: حرَص على الملك، و إنَّ أسكت يقولوا: جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه"(92)

قال زهيرُ بن أبي سُلمى:

كأنَّها من قَطا الأجباب حلَّأها وِردٌ وأفردَ عنها أختَها الشركُ

أهوَى لها أسفعُ الخدَّين مُطَّرقٌ ريشَ القوادم لمْ تُنصبْ له الشبَكُ

دونَ السماءِ وفوقَ الأرضِ سبقُهما دون الذُّنابَى فلا فَوتٌ ولا دَرَكُ

حتى إذا ما هوَت كَفُّ الغلام لها طارت وفي يدِه من ريشِها بِتَكُ (93)

يُشبّه فرسه في سُرعتها بقطاةٍ نزلت لترد الماء، فوجدت وَرَّادا حلَّؤوها عنه، ثم وقعت أختُها في الشرك، فأفزعها هذا وأسرعت في طيرانِها، فانقضَّ عليها صقرٌ ، أراد أن

يأخذها، ففرَّت منه وهذا أسرعُ لطيرانِها، وأسفَّت في طيرانِها هرباً منه، فطمع فيها غلامٌ فمدَّ يده ليأخذها فأفلتت منه وفي يِده بعض ريشها، فهذا عناءٌ بعدَ عناءٍ بعد عناءٍ بعد عناء ، وقد نظر المعري إلى هذا المعنى في قوله:

إخالُ فُؤادي ذاتَ وَكْرٍ هَوَى بها من الطيرِ أقْنى الأنفِ مِخْلَبُهُ سَلطُ
تحُثّ جَناحاً مِن حِذارِ مُغاوِرٍ صَباحاً فقَبْضٌ يجْمَعُ الرّيشَ أو بَسْطُ
تَذَكَّرُ إنْ خافتْ من الموْتِ أفْرُخاً بِيَهْماءَ لم يُمْكِنْ أصاغرَها اللقْط
تَجاوَبُ فيها الزُّغْبُ من كلّ وِجْهَةٍ سُحَيْراً كما صاحَ النَّبيطُ أو القِبْطُ
تُبادِرُ أوْلاداً وتَرْهَبُ مارِداً يَهُونُ عليها عندَ أفعالِهِ السَّحْطُ

والمخلب السلط هو الطويل، والزغب هي الفراخ التي لم يكتمل نموُّ ريشها ولم تنهض بعد للطيران، والسحط هو الذبح ؛ فالذبح أهونُ عليها مما يفعل بها الصقر إذ يمزقّها إرْباً إرْباَ.

قال ابن الفارض رضي الله عنه:

أصمُّ لم يسمعِ الشكوى وأبكم لم يحرْ جواباً وعن حال المشوق عمي

نظر إلى قولِه تعالى :" صمٌّ بُكمٌ عميٌ" ، فجمع الصفات الثلاث الدالّة على التخبط في حبائل الضلالة في بيتٍ واحد. والهوي ذوقٌ ، فمن ذاقَ عرف، ومن لم يذُقْ لم يعرف، ومن هنا جاء الاعتراض على أهل الهوى، وما حسن قوله في هذه القصيدة:

يا لائِماً لاَمَني في حبّهِمْ سفَهاً كُفّ الملامَ فلوْ أحبَبْتَ لم تَلُ
وحُرْمَةِ الوصْلِ والودّ العتيق وبال عَهْدِ الوَثيق وما قد كان في القِدَم
ما حُلْتُ عنهمْ بسُلْوَانٍ ولا بَدَلٍ ليسَ التبدُّلُ والسُّلوانُ من شِيَمي (94)

قال الحارث بن حلَّزة:

أمْ عَلينا جُناحُ كِنْدَةَ أن يَغـ ـنَمَ غَازِيُهمُ ومِنَّا الجزاءُ
باطلاً وظُلْماً كما تُعـ ـتَرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّباءُ

يقول إن كانت كندة فعلت ذلك بكم فلم تقدروا أن تمتنعوا ولا أن تلحقوا ثأركم أفعلينا تحملون

ذنبهم؟ أي تغنم كندة منكم، ويكون جُناح ما صنعوا علينا، أما قوله "تُعتر عن حجرة الربيض الظباء" فكان الرجل يقول: إذا بلغَتْ إبلي كذا وكذا وكذلك غنَمي، ذَبحْتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة، والعتيرة من نُسُك الرَّجبيّة والجمع عتائر، والعتائر من الظباء ، فإذا بلغتْ إبلُ أحدِهم أو غنمُه ذلك العددَ، استعملَ التأويلَ، وقال: إنَّما قلتُ إنِّي أذبحُ كذا وكذا شاة، والظباء شاء، كما أنّ الغنم شاء، فيجعل ذلك القربانَ كلَّه ممَّا يَصِيد من الظباء، وقد نظر المعري إلى هذا المعنى من طرف خفي فقال:

طالَما أخْرَجَ الحَزينُ جَوَى الحُزْ نِ إلى غَيْرِ لائِقٍ بالسَّدادِ
مِثْلَ ما فاتَتِ الصّلاةُ سُلَيْما نَ فَأنْحَى على رِقابِ الجِيادِ

يقول أحمد شوقي:

اِخلَعِ النَعلَ وَاِخفِضِ الطَرفَ وَاِخشَع لا تُحاوِل مِن آيَةِ الدَهرِ غَضّا
قِف بِتِلكَ القُصورِ في اليَمِّ غَرقى مُمسِكاً بَعضُها مِنَ الذُعرِ بَعضا
كَعَذارى أَخفَينَ في الماءِ بَضّاً سابِحاتٍ بِهِ وَأَبدَينَ بَضّا

استهلّ بصورة فيها إجلال وإكبار ، وكان خليقاً به أن يأتي بصورة تضاهيها في الجلال، لكنه عطف على غير نظير؛ فأتى بصورة عذارى يستحممن في الماء، وأين العذارى الفرحات المرحات من القصور اللاتي يوشكن على الغرق ويخشينه، وهذا ما أخذه عليه عبد الله الطيب فقال: "... وأحسن من قول شوقي قول تميم بن المنصور الفاطمي:

وترى النرجِس الذكيّ إذا ما حرّكته الرياح وهو يميسُ
كعَذَارَى تخالهنّ سُكَارى يتعانقن والوجوه شموس

وإن كان دونه في جودة اللفظ إلا أنّه أتى في البيت الثاني بما يناسب معنى الأول.

قال عنترة بن شداد:

جادَتْ عليها كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كلَّ حَدِيقةٍ كالدِّرْهم
فترى الذُّبابَ بها يغنِّي وحْدَه هَزِجاً كفِعْل الشَّارِبِ المترنِّم
غَرِداً يُحكُّ ذِراعَه بذِرَاعِهِ فِعْلَ المكبِّ على الزِّنَادِ الأجذم (95)

قال الجاحظ:" يريد فعل الأقْطعِ المكبِّ على الزِّناد، والأجذم: المقطوع اليدين، فوصف الذّباب إذا كان واقعاً، ثمَّ حكّ إحدى يديه بالأخرى، فشبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ

مقطوع اليدين، يقدَحُ بعودين، ومتى سقط الذُّبابُ فهو يفعل ذلك، ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شِعر عنترة".(96)، وقال ابن الأثير:" وجدننا المعاني تقلب ويؤخذ بعضها من بعض إلا قول عنترة في الذباب..." وذكر البيتين.(97)، أحسنَ الله توفيقَه. قال المظفر العلوي: قال الرشيد للأصمعي هل تعرفُ يا أصمعيُّ تشبيهاً أفخم وأعظم في أحقر مشبَّهٍ وأصغرِه في أحسن مَعْرِضٍ . من قول عنترة:

وخَلا الذُّبابُ بها فليس ببارِحٍ غَرِداً كفعلِ الشّاربِ المترَنِّم

غرِداً يسِنُّ ذِراعَهُ بذراعِهِ قَدْحَ المُكبِّ على الزِّنادِ الأجذَمِ

ثم قال: يا أصمعيّ، هذا من التشبيهات العُقم، فقلت: هو كذلك يا أمير المؤمنين، وبمجدِك آليتُ ما سمعتُ أحداً وصف في شعرٍ شيئاً أحسن من هذه الصفة، ولا استطاع بلوغ هذه الغاية" (98)، وقيل إنما عنى بالذباب النحل.

قال ذو الرمَّة:

ما بال عينك منها الدمع ينسكبُ كأنَّه من كُلى مفريَّةٍ سربُ

وفراء عُرفية أثأى خوارزُها مشَلشلٌ ضيَّعته بينها الكُتَبُ

الكُلى: الجُليدة تحتَ عرى المزادة وهي قربة الماء، والمفريَّةُ المزادة، والسرب هو الماء الذي يُصبُّ في القربة الجديدة لتغلُظَ سيورُها في خروزِها أو ليعرف الإنسان الأماكن الواهية منها ليصلحها، يقول عبد الله الطيب: " ما بالُ عينكِ ينصبُّ منها ماءٌ كأنَّه يتقاطرُ بتتابعٍ من الجُليدات التي تُسمَّى الغرُفية، وكأنَّ النساء اللائي خرزنها لم يحسنّ صنعها، بل أفسدن وضممن بعض الخربات إلى بعض فلذلك صار الماء يسيلُ ضائعاً لا يُمسكه شيء" (99) وهذه ما أغرب الصور في وصف الدمع ، وهناك قرينة لطيفة هي أنَّ سبب انسكاب دمع العاشق هو هجر امرأة ، وسبب تدفُّق الماء من القربة هو عدم إحكام امرأة لصنعتها. وهي فوقَ كلِّ هذا صورةٌ بدوية. ذكره ابن طباطبا في عيار الشعر، قال: وأما تشبيه الشيء بالشيء صورة ولوناً وحركة وهيئة فكقول ذي الرمة، وذكر البيتين.

من شعري ما طاوعني فيه القول وساعدني، ومنه ما أجهدت نفسي فيه، ومنه ما جننت به جنوناً فقولي:

ما بالُ عينك منها الدمع ينسكبُ

ومن بديع ما قيل في دموع العاشقين قول الشاعر السوداني الشيخ عبد الله يونس:

وكنتُ كتبتُ للعتاب صحائفاً منمَّقةً لا ينبغي فضُّ ما تحوى

تأبَّطتها سرَّاً ويممتُ دارَ من أُحبُّ ودمعي ذارفٌ فوقها ذرفا

فبلَّلها حتى أذابَ مدادَها فلما التقينا ما وجدتُ ولا حرفا (100)

وهذا من أبلغ مما قيل في وصف الدموع وكثرْتها، وقد ضمَّن عتابَه ما بينه وبين المحبوب، وهو سرٌّ لا ينبغي إفشاؤه، وإنما ضمَّن عِتابَه الصحائف؛ لأنَّه عاجز عن الإفصاح بها في حضرة المحبوب

هذه الأمثلة بما فيها من اختلاف الأغراض ، وتشعبٌّ الصور، وتفنن ناظميها . قد حبت الأدب العربي بما مازه عن سائر الآداب؛ لما حبا الله سبحانه وتعالى العربَ من دقَّة النظر، وإصابة الوصف، والاهتداء إلى المعاني اللطيفة ، وقد ألّفَ فيها الكتَّاب أسفاراً نفيسة مثل *كتاب " التشبيهات* من أشعار أهل الأندلس" لمحمد بن الكتاني الطبيب، وكتاب " التشبيهات" لابن أبي عون، و"العمدة في محاسن الشعر وآدابه "، وكتاب "الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه" للصفدي ، و" المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، وكثير مما يصعب إحصاؤه.

الهوامش

1- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني،قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، ص 340.

2- ديوان جرير بن عطيَّة الخطفى، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986: 446.

3- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب 21/2.

4 – حمى ضرية: موضع بأرض نجد.

5 – يملولح: يصير ملحاً.

6- الهبيد: حبُّ الحنظل.

7- القد: الجلد.

8- المحاسن والأضداد، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال 1423هـ، 117.

9- االلآلي في شرح أمالي القالي، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، 1482.

10- الصاهل والشاحج، أبو العلاء المعري رسالة الصاهل والشاحج ، أبي العلاء المعري تحقيق: د. عائشة بنت عبد الرحمن دار المعارف الطبعة الثانية 1404هـ - 1984م، ص282.

11- تزيين الأسواق في أخبار العشاق، داؤود بن عمر الأنطاكي، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1420هـ: 984.

12- رسائل الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، تحقيق عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي ، القاهرة،1964. :253.

13- مُرتَهَن:أسير.

14- تيهاء: صحراء يتيه بها الإنسان.

15- تُحرزه: تُحيط به وتمنعه

16- متغيرة اللون.

17- الرشاء: الحبل الطويل..

18- مائج: مضطرب.

19- ديوان العباس بن الأحنف: دار صادر بيروت، ط أولى 1965، :135.

20- المفضليات للمفضل الضبي، ص 351.

21- ديوان العباس بن الأحنف: ص45.

22- ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الجيل بيروت، ص355.

23- ديوان الصبابة، ابن أبي حجلة، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحي بن أبي بكر، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية : 125.

24- مفاتح الغيب، الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3: 1420هـ ، ج25 ص 123.

25- ديوان النابلسي (ديوان الحقائق ومجموع الرقائق)، المطبعة الشرفية بمصر، ط1: 1306هـ، ص100.

26- ديوان الصبابة، ابن أبي حجلة، سلام:470، النظر الشزرُ هو النظر بمؤخِّر العين.

27- تزيين الأسواق في أخبار العشاق:.427

28- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد بن خليل المرادي، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم ، ط3: 1408 هـ- 1988م، 126/2.

29- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، يوسف اسماعيل النبهاني: دار الفكر، :4/ 180.

30- الوهدات : الأماكن المنخفضة

31- لا يصمم صداه دعاء له بألا يهلك.

32- مرا الضرع مسحه بيده ليدر، والمعنى هنا مجازي، فكأنها تستدرُّ الألحان من العود بلمسة يدها.

33- ديوان أبي تمَّام، حبيب بن أوس الطائي، تقديم د. محيي الدين صبحي، دار صادر،بيروت: 463/2.

34- أخبار أبي تمام، محمد بن يحي بن عبد الله أبو بكر الصولي، تحقيق زكي مبارك، مكتبة المعارف القاهرة 1936: 154.

35- سقط الزَّند، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، دار صادر :.9

36- مثلٌ يُضربُ لمن لا يَترك عادته.

37- المطرب من أشعار أهل المغرب، عمر بن الحسين بن علي بن دحية الكلبي،تحقيق إبراهيم الأبياري ود حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي مراجعة د. طه حسين، دار العلم للجميع، بيروت، 1955 :.117

38- سقط الزَّند: .220

39- سقط الزند:.131

40- ديوان بن الفارض:.126

41- ديوان كثير، كثيِّر بن عبد الرحمن الأسود، شرح عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت :.65

42- د يوان ابن سهل الإسرائيلي، أبو إسحاق إبراهيم ابن سهل الإشبيلي، إحسان عباس، دار صادر بيروت،1967م: 148.

43- ديوان أبي الفضل الوليد، تحقيق جورج مصروعة،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1981: 45

44- لا.

45- [1] .

46- البصائر والذخائر، علي بن محمد بن عباس التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، مصر، 1964 :.709

47- سقط الزند: 228

48- ديوان ابن الرومي: شرح : أسامة حيدر، دار الجيل ،بيروت،6 /.517

49- لسان العرب لابن منظور : مادة حمم.

50- ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، :.27

51- ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الجيل، بيروت، :.518

52- نفسه:.506

53- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق:د ناصرالدين الأسد، دار صادر بيروت : 146.

54- سقط الزند : دار صادر،بيروت :.330

55- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1: 1414 هـ - 1993م: 1/.311

56- الأمالي: أبو علي القالي، عناية: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط2 :1344 هـ - 1926م، 1/.149

57- طوق الحمامة، علي بن أحمد بن سعيد بن علي الظاهري: تحقيق ؛ حسن كامل الصيرفي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، طبعة أولى 1964م، ص.237

58- طوق الحمامة: .238

59- ديوان أبي الطيب:.29

60- ديوان سبط بن التعاويذي، اعتنى بنسخه وتصحيحه د.س مرجليوث، مطبعة المقتطف، مصر 1903: .350

61- اللسان مادة أرك.

62- سقط الزند:ص .214

63- ديوان ابن الفارض:ص.145

64- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، 175./2

65- ديوان أبي نواس، دار صادر:.225

66- أخبار أبي القاسم الزجّاجي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجّاجي: .262

67- الأمالي، يموت بن المزرِّع، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر،2001 : .49

68- مثلٌ يُضربُ للشيء يُبذلُ فيه أكثرُ من قيمته.

69- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الأثير، .577

70- الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن أيبك الصفديأشرفت على طبعه جمعية المستشرقين الأمانية وأسهم في تحقيقة هيلموت ريتر ودريدرينغ، وراجعه: رمضان عبد التواب صلاح الدين المنجد وإحسان عباس، 1931: 4843

71- ديوان ابو نواس، .810

72- ديوان الأخطل،غياث بن غوث بن الصلت، شرح وتحقيق: مهدي محمد ناصرالدين، دار الكتب العلمية،بيروت، ص.189

73- نُصرة الثائر: صلاح الدين بن أيبك الصفدي، مجمع اللغة العربية دمشق، 1872: 134

74- الذرى والحوارك: ظهور الإبل.

75- التنوفةُ: الصحراء الممتدَّة.

76- المجموعة النبهانية: 484/2.

77- قلب وتجارب، محمد أحمد محجوب، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، 1964: 5

78- البُرس: القُطن.

79- ديوان شرف الدين البوصيري، شرح: احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية 166.،

80- الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب،محمد بن عبد الله بن سعد، تحقيق محمد عبد عنان القاهرة،1973:4

81- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة: 1358 هـ - 1939 : 4/1.

82- شرح ديوان ابن الفارض، شرح الشيخ حسن البوريني والشيخ عبد الغني النابلسي، مصر 1289هـ:

83- شرح ديوان الحماسة المرزوقي، ص2203.

84- الزهرة، محمد بن داؤود بن علي الأصفهاني، تحقيق؛ ابراهيم السامرائي و نوري حمود القيسي، مكتبة المنار، الأردن، طبعة ثانية 1980م ،ج3 ص31.

85- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء،أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط1: 1420هـ، 2 / 55.

86- التذكرة الحمدونية، أبو المعالي محمد بن الحسن بن علي بن حمدون، ص2508.

87- نهاية الأرب في فنون الأدب أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1: 1423هـ، 7 /132.

88- التعازي والمراثي، أبو العباس المبرد، تحقيق محمد الديباجي، دمشق 1976،.:20.

89- سلك الدرر أبو الفضل محمد بن علي بن محمد المرادي،اسطنبول 1291هـ :2 / 65.

90- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ،526

91- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني، إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان، ط1: 1997م، 2 / 334.

92- نهج البلاغة،مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، نشر:المستقبل الرقمي، :13.

93- ديوان زهير بن أبي سُلمى المزني: ، دار صادر، بيروت :49.

94- ديوان ابن الفارض مصر، :129.

95- ديوان عنترة ،، دار صادر، بيروت، ص19.

96- الحيوان، الجاحظ، ج5 ص.1364

97- نصرة الثائر على المثل السائر:

98- نضرة الإغريض في نُصرة الغريض، المظفر بن الفضل بن يحيي العلوى الحسيني، دمشق 1976 ، تحقيق نهى عارف الحسن:ج2، ص.154

99- شرح أربع قصائد لذي الرُّمَّة، عبد الله الطيب، الطبعة الأولى، ط جامعة الخرطوم، 1958م: 5

100- الدر النظيم في مدح النبي العظيم، الشيخ عبد يونس العركي، الهيئة العامة للثقافة والفنون الخرطوم، 1994: 321 .